مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 21 / العدد: 02 / السنة: 2022 ص ص:287-304

الشعر عند محمد بن أب المزمري التواتي موضوعات وإبداع

Poetry By Mohammed Ibn Abba Al-Mazameri Al-Touati Topics and Creativity

عكرامي أحمد[1*]، بن منوفي محمد[2]

1 جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، (الجزائر)،akramiahmed3007@yahoo.fr

2 جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله،(الجزائر)، Benmanoufimaha82@gmail.com

تاريخ الاستلام:2022/04/19 **تاريخ القبول**: 2022/06/30 **تاريخ النشر**: 2022/06/30

ملخص:

إن توات مثل غيرها من البلدان العربية دخلها الكثير من العلماء ومر بها الكثير أيضا وولد بها الكثير، وقد قدَّم كل عالم ما يستطيع من مجهود، يساهم به في تطور وازدهار بلده وموطنه.

وقد انتجت منطقة توات الكثير من العلماء الذين خلفوا الكثير من الأشعار في شتى المواضيع والأغراض، وهناك حتى من أبدع على مستوى القصيدة والغرض وحتى الوزن.

ولقد اخترت الشاعر المفلق العلامة نحوي عصره وعروضي دهره ومبدع، بحر من أبحر الشعر، الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري؛ الذي أضاف بحراً لبحور الخليل سماه "المضطرب"، والذي حاولت في هذه الصفحات الوقوف عند مواضيع الشعر التي تناولها في شعره، وكذا الإشارة إلى البحر الذي أضافه لبحور الخليل بن أحمد الفراهيدي.

الكلمات المفتاحية: توات؛ علماء؛ القصيدة؛ المنظومة؛ الأرجوزة؛ بحور الشعر.

Abstract:

Like other Arab countries, Touat has been entered by many scholars and has also been born with a lot of people, and every world has made the best effort it can to contribute to the development and prosperity of its country and home.

The Touat region has produced many scholars who have left many poems in various subjects and purposes, and there are even those who have created at the level of the poem, purpose and even weight.

I have chosen the poet al-Moufaleq at the end of his era and my presentations and the creator of a sea of poetry Sheikh Sidi Mohammed iben Abba Al-Mazameri, who added a sea to the seas of Hebron called him

* المؤلف المرسل

"troubled", and who tried in these pages to stand on the topics of poetry that he addressed in his poetry as well as the reference to the sea added to the seas of Hebron bin Ahmed al-Farahidi.
Keywords: Touat; Scholar; The poem; The system; The Arguza; Seas of Poetry.

مقدمة:

إن توات عاشت خلال قرون مضت نهضة ثقافية وعلمية كبيرة، ترجمها العدد الهائل من الشيوخ والعلماء الذين أثروا الساحة العلمية للمنطقة، بمؤلفات وتصانيف تعد غاية في الفائدة إذا ما تم الاعتناء بها.

فلقد حفرت العائلة العلمية التواتية اسما راسخا لها في التاريخ العلمي والثقافي لمنطقة المغرب العربي، فقد انتشر أعلامها في أنحاء المنطقة فأسسوا الزوايا العلمية العامرة في مناطق متفرقة في الجزائر والمغرب وموريتانيا وحتى في بلاد السودان قديما. ورغم شح المادة العلمية عن بعض الأعلام إلا أنه من خلال ما هو مبسوط في المصادر وما تحويه الخزائن من تراث علمي يمكننا أن نستنتج مدى الدور العلمي الكبير الذي لعبت هؤلاء الأعلام والذي أمتد شعاعه ليسع منطقة توات وجاراتها.

وشاعرنا محور الدراسة الشيخ سيدي محمد بن أُبّ المزّمّري (**1094– 1160**هـ)، الذي ألف عدة مؤلفات في فنون كثيرة من العلم وخلف أشعارا كثيرة لو جمعت لكانت ديوانا ضخما.

فمن هو محمد بن أب المزمري؟ وما هي موضوعات شعره؟ وما هي إبداعاته الشعرية؟

وقد انتهجت في دراستي المنهج الوصفي الذي أداته التحليل مع بعض آليات المنهج التاريخي، وكان الهدف الأسمى لهذه الدراسة هو إبراز شخصية علم من أعلام منطقة توات، الذين تركوا إرث علمي مازال إلى اليوم يدرس في المدارس القرآنية وحتى الجامعات.

حياة الشاعر محمد بن أُبّ المزمري (ت.1160 هـ) وأهم آثاره:

يعد شاعرنا من أهم رواد حركة الدراسات الشرعية واللغوية والأدبية في توات حيث ألف العديد من المصنفات الفقهية وشرح العديد من المتون اللغوية وله الكثير من الأشعار، غير أن الغالب على نتاجه العلمي كان في علم اللغة، إضافة إلى الكثير من الأشعار والمقطعات وغيرها من المؤلفات التي تنبئ عن عبقرية الرجل.

1- حياته ونسبه:

هو أبو عبد الله سيدي محمد بن أُبّ بن أحمد، وفي رواية بن احْميد، بن عثمان، بن أبي بكر، المزّمّري نسباً، التواتي مولداً وداراً، فهو ولد كما أكد ابنه ضيف الله في رحلته، لستّ سنين بقيت من القرن العاشر أي سنة(1094هـ) بقرية أولاد الحاج ضواحي تيمقطن دائرة أولف وبها تلقى مبادئ علومه الأولى، توفي أبوه (أبّ) عنه في يوم الأربعاء الثامن والعشرين (28) من عام خمسة وعشرين ومائة وألف (1125 هـ). (**الكنتي، 1388هـ، صفحة 02**) (**الإدريسي، 1399 هـ، صفحة 158**)

أما عن نسب (ابن أُبّ) فيقول محمد بن عبد الكريم البكري (ت.ق14 هـ): "السيد مُحمد بن أُبّ بضم الهمزة هكذا ضبطه، الزمّوري نسبة إلى زمورة من أرض البرابر، المخزومي القرشي" (**جعفري، سلسلة رجال في الذاكرة سيدي محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، 2004م، صفحة 58**).

2- تعلمه وشيوخه

نشأ مُحمد بن أُبّ في مسقط رأسه بقصر أولاد الحاج ضواحي مدينة أولف، وبها تلقى مبادئ علومه الأولى، ثم اتصل بعد ذلك بالشيخ محمد الصالح بن المقداد (ت.ق12 هـ) وبعدها انتقل إلى قصر زاوية كنته، واتصل بالشيخ الفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي (ت.1157هـ)، ومكث بالزاوية طويلاً دارساً ومدرساً حتى انتقل منها لعلة في مائها متوجهاً إلى مدينة تمنطيط التي درس بها طويلاً، ثم انتقل بعد ذلك إلى عدة مدن وأقطار عربية وإسلامية، واستقر به المطاف أخيراً بمدينة تيميمون شمال ولاية أدرار وبها تُوفي (**الإدريسي، 1399 هـ، صفحة 158**) (**بلعالم، 2005م، صفحة 89**).

ومن جملة مشايخه وأساتذته أيضاً، يذكر الشيخ عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني (ت.1189 هـ) أحد تلامذته المقربين أنه: " أخذ ببلده الفقه عن السيد محمد الصالح بن المقداد، وعن الفقيه شيخنا عمر الرقادي، أما الشعر والعروض فأخبرني أنه لم يأخذهما عن شيخ يعتمد عليه فيهما، وإنما فتح الله عليه فيهما على يد صالح، أما النحو فعلى يد العلامة الولي الصالح سيدي أحمد التوجي ". (سيد أحمد التوجي من أولياء المنطقة، عاش في القرن الثاني عشر وهو مدفون بين قصري تسفاوت واعباني جنوب أدرار).

أما عن صفاته وأخلاقه في التعليم فيقول عنه تلميذه سيدي عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني (ت.1189 هـ):" كان متقناً، مجيداً، فطناً، عارفاً يباحث الشراح في مجلسه بأحسن بحث، إلا أنه

كان قليل الإقراء، وكان رحمه الله ورعاً في الفتوى لا يكاد يجيب في نازلة، ويحيل على غيره ولو كان أدنى منه، وكان كثير المطالعة لا تكاد تجد كتاباً بتوات إلا وتجد خطه فيه، وكان متقناً في الضبط لا يتساهل فيه" (**بلعالم، 2005م، صفحة 89**).

3- رحلاته وتنقلاته

عُرف مُحمد بن أُبّ بكثرة رحلاته وتنقلاته وهذا منذ أيامه الأولى، ذلك أنه ولد في قرية أولاد الحاج ومنها انتقل إلى قصر زاوية كنته جنوب الولاية أدرار، ثم إلى مدينة تمنطيط، ومنها إلى زاوية تينيلان ضواحي المدينة أدرار، ليستقر به المقام أخيراً بمدينة تيميمون. (**غيتاوي، صفحة 123**) (**جعفري، سلسلة رجال في الذاكرة سيدي محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، 2004م، صفحة 16**)

أما خارج الوطن فقد تنقل الشيخ بين سجلماسة وفاس بالمغرب، وبين مالي وتمبكتو وأروان بأرض السودان الإفريقي، وأثناء تنقله بأرض المغرب زار مدينة سجلماسة وحضر مجلس عالمها آنذاك الأستاذ أبي إسحاق سيدي إبراهيم، ومن هناك عاد إلى أرض توات، ومنها إلى مدينة تيميمون التي قضى بها بقية حياته إلى أن وافته المنية.

4- تلاميذه

على الرغم من كثرة نشاط بن أُبّ العلمي وتعدد رحلاته داخل وخارج الوطن، إلا أن هناك قلة من تلاميذه الذين كتبوا عنه، أو ترجموا له ضمن سلسلة أشياخهم، ولم تسجل لنا كتب التراجم سوى تلميذين بارزين، جاء ذكرهما في كل الأسانيد التي تحدثت عن تلاميذ مُحمد بن أُبّ المزّمّري، أما الأول فهو ابنه ضيف الله (ق 12هـ) وقد أُثِر عنهما مناظرات نحوية عدة، جاءت في شكل أبيات شعرية تضمنتها بعض حواشي مخطوطات المنطقة. وأما تلميذه الثاني فهو الشيخ عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني(ت.1189 هـ).

5- وفاته

في ظهر يوم الاثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة ألف ومائة وستين هجرية (ت.1160 هـ)، انتقلت روح مُحمد بن أُبّ المزَّمّري إلى بارئها، ودفن بمدينة تيميمون، بمقبرة سيدي عثمان وسط المدينة، وقبره إلى جوار الولي الصالح سيدي عثمان أحد أولياء المنطقة. (**بلعالم، 2005م، صفحة 89**) (**جعفري، سلسلة رجال في الذاكرة سيدي محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، 2004م، صفحة 16**) (**غيتاوي، صفحة 123**) (**بكري، 2005م، صفحة 81**).

6- مؤلفاته

لقد خلف ابن أُبّ العديد من المؤلفات في الشعر والنثر، لكن ما وصلنا منها قليل بالنسبة إلى الذي ضاع فيما روي عنه، خاصة وأنه كان شاعرا من أصحاب السليقة، ومع ذلك فإن هذا القليل مما وصلنا يعد ذخرا للرجل، ومن هذه المؤلفات نجد:

- قصيدة في فك البحور ألفها سنة (1116 هـ).
- نظم مقدمة ابن آجروم ألفها سنة (1120 هـ).
- أرجوزة في علم العروض ألفها سنة 1126 هـ وسماها "روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل".
- نظم باب السهو من مختصر الأخضري في العبادات ألفه سنة 1128هـ وسماه "العبقري" وهو في مائة وتسعة وخمسين (159) بيتاً.
- نظم على المقدمة الأجرومية ألفه سنة 1144 هـ وسماه نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم وهي في مائة وأربعين (140) بيتاً.
- نظم آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويل ألفه سنة 1157هـ وسماه "كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم".

هذا وقد أُثِر عنه مؤلفات أخرى عديدة لكنه لم يقيدها بتاريخ محدد حتى يتسنى لنا معرفة تاريخ النظم أو التأليف نذكر منها:

- أرجوزة في علم الكلام سماها "الأهنة المعجلة".
- أرجوزة في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ضمنها أشطاراً من الألفية شطراً من نظمه والآخر من الألفية، وهي في ثمانية وخمسين بيتاً.
- قصيدة شعرية في مدح وسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنشأها على البحر الجديد والذي سماه (المضطرب) وهي في تسعة وثمانين (89) بيتاً.
- منظومة في أسماء البحور.
- قصيدة شعرية يفتخر فيها بنفسه.

- قصيدة في إعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح في المنطقة.
- منظومة في مفاتيح البحور.
- أرجوزة في التصريف سماها "روضة النسرين في مسائل التمرين".
- شرح على روضة النسرين.
- شرح على الهمزية سماه "الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية".
- شرح على لامية ابن المجراد في إعراب الجمل سماه "نيل المراد من لامية ابن المجراد".
- شرح على تحفة ابن الوردي في النحو سماه "النفحة الرندية في شرح التحف الوردية".
- أبيات العشرة تقرأ من اليمين إلى اليسار وتقرأ من الجهة الموازية أيضا.
- شرح على هاته الأبيات العشرة.
- أبيات عشرة في البديع.
- شرح على صغرى الصغرى "سماه معونة القراء".
- شرح على القصيدة الشقراطسية سماه "الدروع الفارسية في شرح القصيدة الشقراطسية".
- شرح على لامية العجم سماها "نفث القلم في شرح لامية العجم".
- تخميس لقصيدة ما للمساكين المنسوبة لأم هانئ –رضي الله عنها–.
- شرح لمنظومته الأولى للمقدمة الأجرومية.
- تحلية القرطاس في مسألة تضمين الخماس.
- وله قصيدة على حروف أدعوني استجب لكم تشتمل على 14 بيتا.
- نظم رابع على المقدمة الأجرومية.
- وله أبيات متفرقة قالها في عدة مناسبات وأيضا له ألغاز شعرية تركها لمن خلفه آية.

7– موضوعات شعر ابن أب :

لقد نوع ابن أب في شعره بين التعليم والمدح والألغاز وغيرها من الأغراض الأخرى، لكن ما وصلنا من شعره يطغى عليه الجانب التعليمي، الذي بدوره يغلب عليه الجانب اللغوي النحوي،

فالشاعر وكما أشرنا سابقا كان يفتخر ببراعته في هذا الميدان ويتحدى الآخرين في ذلك، ومن الأغراض التي خاض فيها نجد:

أ- غرض المدح:

لم نعثر فيما وصلنا من شعر ابن أب على الكثير من قصائد المدح، سوى بعض القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وقصيدة في مدح الولي الصالح مولاي عبد الملك الرقاني وأجداده، وهذا ربما يرجع لاهتمام ابن أب بالتعليم أكثر من اتصاله بالغير، ولا نستطيع تأكيد ذلك على الإطلاق ونحن نعلم أن الكثير من تراث منطقة توات قد ضاع بسبب عوامل عديدة أبرزها الفترة الاستعمارية التي كان المستعمر خلالها يحاول محو ذاكرة شعب من جذورها، فمن القصائد التي وصلتنا في فن المدح النبوي نجد القصيدة التي ضمن لأبياتها أعجازاً من ألفية ابن مالك ووظفها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

والتضمين يعني أخذ الشاعر بيتا أو جزء من بيت شعري من شاعر آخر فيودعه في شعره، على أن يكون ذلك علنا من دون أن يخفي ذلك، وإلا فالأمر يعد سرقة أدبية (عزام، **1987**م).

وعلى غرار ما فعله الأولون ورغم ما جاء في كلام ابن حجة لكننا لم نعثر على تمثيل له عنده أو عند غيره فقد استلهم منهم ابن أب فكرة التضمين لكنه أخرجها بشكل مخالف لما جاؤوا به وهو الذي يحب أن يبتكر ويبتدع في ذلك على غرار البحر الذي أضافه للبحور الشعرية، فقد ضمن قصيدة مكونة من ثمانية وخمسين بيتا كل أبياتها أعجازا من ألفية ابن مالك النحوي، والغريب أنه لم يبقي القصيدة على نفس المضمار وهو موضوع النحو كما هو الشأن بالنسبة للألفية، بل بدل مسارها إلى موضوع المدح النبوي، وهذه سابقة في تاريخ الشعر التواتي، وقد اختص المغرب العربي والأندلس بهذا النوع من الأنظام فقد سبق ابن أب إلى هذا الفن، كل من ابن نباتة وابن سهل وغيرهما...

والقصيدة التي جاءت في هذا المنوال من شعر الشاعر هي الأرجوزة التي ضمنها أشطاراً من الألفية شطراً من نظمه والآخر من الألفية، وهي في ثمانية وخمسين بيتاً بدأها بقوله :

صَلاَةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ مُتَّصِلَهْ عَلَى الذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَهْ
نَبِيِّنَا الذِي فَخَارُهُ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا

ومن مدح الشاعر أيضا نجد قصيدته التي ألفها على البحر الجديد، وقد أفردها لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول فيها:

صَلَّ يَـا إِلَهِـي ثُـمَّ سَلِّـمْ ... دَائِمـاً عَلَى خَيْرِ الأَنَـامْ
مَا دَعَاكَ أَوْ لَبَّاكَ مُحْرِمْ ... قَاصِداً إِلَى الْبَيتِ الْحَرَامْ
أَحْمَدُ رَسُولُ اللهِ أَحْمَدْ ... سَيِّدَ الْوَرَى طَهَ الْمُمَجَّدْ

وختمها بقوله :

هَلْ مُوَحِّدٌ يَرْجُوهُ يَشْقَى ... لاَ وَلَّو تَرَاءَى ذَا اجْتِرَامْ
يَا إِلَهَنَا حَمْداً وَشُكْرَا ... إِذْ هَدَيْتَنَا سِرّاً وَجَهْرَا

ومن قصائده في المدح العام نجد قصيدة السلسلة التي مدح فيها الولي الصالح الشيخ سيدي مولاي عبد الملك الرقاني، التي يبين فيها نسب الشيخ واتصاله بالنسب الشريف وكذا شيوخه وشيوخهم على مر الأزمان يقول فيها:

الحَمْدُ للهِ المجُيبُ السَّائِل ... إِذَا دَعَا بِأَعْظَمِ الوَسَائِلِ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلُ مَنْ ... نَالَ الهُدى يهُديهُم طُول الزَمَنْ
وَبَعْدُ فَارْفَع حَاجَتِي للدَارِ ... بِمَا حَوَتْ سِلْسِلَةُ الأَنْوَارِ

إلى أن يقول :

بِجَاهِ أحمَد الوَجِيْهِ المُصْطَفَى ... مِنْ جَاهِهِ عَلى الأَنَامِ قَدْ ضَفَى
وَالآلَ وَالصَحْبِ الكِرَامِ مَا دَعَا ... دَاعٍ إِلهَي بِحَبْيبكَ اشْفَعَا

وما يفسر عدم اهتمام ابن أب بشعر المدح وخاصة المدح العام؛ هو اهتمامه بالشعر التعليمي ورؤيته له أنه ذا رسالة أبلغ، إضافة إلى كون الشاعر يميل أكثر إلى النحو واللغة.

ب- غرض الفخر:

تناول الشاعر هذا الغرض لكن اقتصر فيه على الافتخار بشخصه دون أن يعرض لأي من المواضيع التي تناولها الشعراء في أشعارهم كالافتخار بالأجداد أو الأوطان...

ومما جاء به الشاعر في هذا المضمار نجد القصيدة التي قالها وهو بأرض أروان بتمبكتو يقول فيها (**بلعالم، 2005م، صفحة 90**):

وَقَائِلَةٌ لِي يَا ابْنَ أُبَّ مُحَمَّدَا ... أَرَى النَّاسَ طُرّاً هَاهُنَا فِيكَ زُهْداً
فَلاَ مَذْهَبٌ مِنْ أُنْسِهِ لَكَ وَحْشَةً ... وَلاَ سَامِعاً مَنْ ذَا يَقُولُ مَنْ الْهُدَا

وختمها بقوله:

وَمِنْ قَائِلٍ مَنْ شِئْتَ فَاخْطُبْ فَإِنَّنَا جَعَلْنَا لَكَ التَّفْوِيضَ فَاحْلُلْ وَاعْقُدَا
وَمِنْ قَائِلٍ حَاكِيتَ فِي الْفِقْهِ مَالِكاً وَمِثْلِيَ غَبِيٌّ جَاهِلٌ غَيْرَ مُقْتَدَا

وأيضاً افتخاره في قصيدة أخرى يقول فيها (**بلعالم، 2005م، صفحة 95**):

وَفُزْتُ بِدُرِّ الشِّعْرِ إِذْ غُصْتُ بَحْرَهُ وَمِثْلِي لِنَيْلِ الدُّرِّ مِنْ بَحْرِهِ أَهْلُ
فَحَازَ نِظَامِي فِيهِ أَبْدَعَ صَنْعَتِي مِنَ اللهِ لاَ مِنْ غَيْرِهِ ذَلِكَ الْفَضْلُ
وَأَمْرِي سَلِمَ الاتِّصَالِ وَمَنْ يَرُمْ اتِّصَالِي فَإِنَّ الْخَطْبُ فِي شَأْنِهِ سَهْلُ

ولم يكتف الشاعر بالقصائد عند افتخاره بنفسه بل أنشأ أبياتاً أخرى منها قوله (**بلعالم، 2005م، صفحة 99**):

إِذَا سَادَ بِالإِقْدَامِ عَمْرُو وَبِالذَّكَا تَفَرَّدَ إِيَّاسٌ وَبِالْجُودِ حَاتِمُ
فَإِنَّ شِعَارِي صَنْعَةُ الشِّعْرِ فَالذِي يُنَازِعُنِي فِيهَا فَذَلِكَ ظَالِمُ

وكذلك في قوله (**بلعالم، 2005م، صفحة 98**):

فَخُذْ بِنْتَ فِكْرِي مُنْبِئاً دُرَّ عَقْدِهَا بِأَنِّي نَحْوِيٌّ فَصِيحٌ وَمُعْرِبُ

وأيضاً نجد الشاعر لم يكثر في هذا الغرض وهذا راجع لثقافة الشاعر وعلمه بالقرآن والسنة لأن كلا منهما يمنع على المسلم الافتخار بالنفس فما بالك بعالم متفقه في الدين.

ج- غرض التصوف والزهد:

لا نجد شاعراً من شعراء منطقة توات ينظم الشعر إلا وقد تطرق إلى الزهد لأن هذا الأخير مرتبط بالتصوف والتصوف عنوان المنطقة ككل لأن معظم سكانها على الطريقة الجنيدية الأشعرية.

فنجد شاعرنا قد ألف قصيدة من عشرة أبيات ضرب فيها لونين في نظم واحد، لون معنوي وهو النصح بالزهد في الدنيا والتوبة إلى الله وترك التكاسل والاجتهاد في الطاعات والعبادات، ولون سماعي وهو حسن البديع بتخصيص القصيدة بالجناس كلية وذلك في قوله (**بلعالم، 2005م، صفحة 96**):

يَا وَيْحَ مُبْتَاعَ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَلَسَوْ فَ يَنْدَمُ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَا – (صِي)
مَا هَمُّهُ إِلاَّ لِقَاءَ كَوَاعِبَ عُرْبٍ تَمِيسُ كَأَنَّهُمُ الْقَضْبُ النَّوَا – (عِمُ)

ومن شعر الزهد أيضاً ما جاء في قصيدة "الأهنة المعجلة" في قوله:

وَلاَ خَفَا أَنَّ الْحَيَاةَ يَا أَخِي لَيْسَ لَهَا تَعَلُّقٌ أَصْلاً بِشَيْءِ
وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ كُلٍّ فَافْطَنَا الْعَدَمُ الْحُدُوثُ ثَمَّتَ الْفَنَا

كذلك نجده قد أفرد قصيدة من أربعة عشر بيتاً في التصوف والزهد وهي قصيدة على حروف "أدعوني أستجب لكم" التي مطلعها (**بلعالم، 2005م، صفحة 99**):

اللهُ رَبِّي لاَ إِلَهَ سِوَاهُ مَا خَابَ مُضْطَرٌّ دَعَا مَوْلاَهُ

وأيضا قصيدة أخرى من أحد عشر بيتاً مطلعها (بلعالم، 2005م، صفحة 97):

رَعَى الإِلَهُ أَمْراً يُخْشَى الإِلَهُ لَهُ إِنْ هَبَّ لِلْخَيْرِ أَهْلُ الْخَيْرِ نَامُوسُ

فنجد أن الشاعر من أهل التصوف والزهد والتنسك وكيف لا وهو قد سخر كل حياته في خدمة العلم والعبادة، فهو كان دائم التنقل والترحال من أجل بث العلم ونشر الدين.

د- غرض العتاب:

نجد الشاعر تطرق لهذا الغرض في قصيدة واحدة وذلك حين كان بأرض أروان بتمبكتو لما لم يجد من يستقبله ويعرف قدره فأنشد أبياتا قال في مستهلها (بلعالم، 2005م، صفحة 96):

فَقُلْتُ جَهِلْتِ الأَمرَ لَوْ جِئْتُ تَاجِراً أَسُوقُ حَمَالَةً وَأُبْرِزُ عَسْجَداً
لَكُنْتُ لَدَى أَبْنَاءِ جَنْسِي وَغَيْرِهِمْ حَبِيباً إِلَيْهِمْ بَلْ أَمِيراً وَسَيِّداً

فهو في هذه الأبيات يعاتب سكان تمبكتو لأنهم لا يعرفون قدر العالم، وإنما همهم الجري وراء الأغنياء ورفع منزلتهم ولو أنهم جهال وذلك بسبب ما يملكون من مال، أما أهل العلم فلا يجدون بهذه الأرض من يستمع أو ينظر إليهم، فابن أب لاحظ ذلك وعبر عنه بهذه الأبيات متعجباً من حال هؤلاء ومعاتباً لهم في الوقت نفسه.

هـ- الشعر التعليمي:

لقد غلب هذا الغرض من الشعر على شعر ابن أب، وهذا طبيعي لأن وظيفة الشاعر كانت التعليم، فقد بدأ هذه الوظيفة بمسقط رأسه ثم انتقل إلى مناطق عدة لبث العلم، كما تبنى الطريقة الأسهل لتحفيظ الفرائض والعلوم للطلاب، وهذه الطريقة منتشرة بكثرة في المغرب العربي، فعمد ابن أب إلى نظم العديد من المتون المنثورة، وساعده في ذلك موهبته في النظم، وخص العلوم اللغوية بنسبة كبيرة من نظمه، وكيف لا وهو الذي ينعت نفسه بأنه نحوي.

- ومن القصائد التي أفردها للتعليم نجد قصيدته في فك البحور ألفها سنة (1116 هـ) بدأها بقوله:

بَدَأْتُ بِحَمْدِ اللهِ رَبِّ مُصَلِّياً عَلَى الْهَادِي أَحْمَدَ الرِّضَا عَلَمَ الْهُدَى

وَأَصْحَابِهِ وَالأَكْرَمِينَ وَآلِهِ وَبَعْدُ فَخُذْ فَكَّ الْبُحُورِ عَلَى الْوَلاَ

وختمها بقوله :

فَعُولٌ بِتَشْمِينِ حَوَى مُتَقَارِبٌ وَقُلْ خَبَبٌ لَنْ وَالنِّظَامُ قَدِ انْتَهَى

بِحَمْدِ إِلَهِ الْعَرْشِ فِي عَامِ وَيَقْشٍ وَلاَ حَوْلَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ قُوَى

- نظم مقدمة ابن آجروم ألفها سنة (1120 هـ) بدأها بقوله :

قَالَ ابْنَ أُبَّ وَاسمُهُ مُحَمَّدُ اللهَ فِي كُلِّ الأُمُورِ أَحْمَدُ

وختمها بقوله :

قَدْ تَمَّ مَا أُتِيحَ لِي أَنْ أُنْشِئَهُ فِي عَامِ عَشْرِينَ وَأَلْفٍ وَمِئَهْ

- أرجوزة في علم العروض ألفها سنة 1126 هـ وسماها "روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل" بدأها بقوله :

قَالَ عَبِيدَ رَبِّهِ مُحْتَسِبَا مُحَمَّدُ الْمُزَّمِّرِي نَسَبَا

الْحَمْدُ لِلهِ الذِي قَدْ مَهَّدَا لَنَا عَرُوضَ دِينِهِ وَأَرْشَدَا

ثُمَّ عَلَى الْبَحْرِ السَّرِيعِ الْفِيْضِ لِلْمُبْتَغِي جَدْوَاهُ دُونَ غِيضِ

- نظم باب السهو من مختصر الأخضري في العبادات ألفه سنة 1128هـ وسماه العبقري وهو في مائة وتسعة وخمسين (159) بيتاً بدأها بقوله (**نويهض، 1981م**):

الْحَمْدُ لِلهِ الْجَزِيلِ النَّعَمِ مُرْشِدِ مَنْ عَنْ سُبُلِ الْحَقِّ عَمِ

ثُمَّ صَلاَةُ اللهِ يَتْلُوهَا السَّلاَمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ سَيِّدِ الأَنَامْ

- نظم مقدمة الأجرومية ألفه سنة 1144 هـ وسماه نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم وهي في مائة وأربعين (140) بيتاً بدأها بقوله :

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَنْعَمَا وَعَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَا

وَبِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَا عَلَى النَّبِيِّ بِالْبَهَاءِ حُلِيَّا

- نظم آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويل ألفه سنة 1157هـ وسماه كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم بدأها بقوله :

لَكَ الْحَمْدُ يَا الله يَا مَنْ تَفَضَّلاَ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِالْبَيَانِ وَأَجْمَلاَ

وَأَهْدِي صَلاَةً مَعَ كَرِيمِ تَحَيَّةٍ إِلَى مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ لِلْخَلْقِ مُرْسَلاَ

- منظومة في أسماء البحور جاء فيها:

بَدَا لِلطَّوِيلِ الطَّيِّبِ الذُّوقِ تَمْثِيلُ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ

وَالْمَدِيدِ الْعَرْبُ فِيهِ يَقُولُ الْقَائِلُ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلُنْ

- وله أيضا في إعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح يقول فيه:

إِذَا كُنْتَ يَا ذَا اللُّبِّ فِي الْحَقِّ تَرْغَبُ وَفِي الْحَقِّ مَا يُصْغَى إِلَيْهِ وَيُطْرِبُ

فَقُلْ يَا قَرِيبٌ وَابْنِهِ فِي نِدَائِهِ عَلَى الضَّمِّ وَاقْتَفِي نَحْوَهُ فَهُوَ أَصْوَبُ

- وله أيضا منظومة في مفاتيح البحور يقول في مطلعها :

وَبِهَذِهِ الأَجْزَاءِ تَمَّ الْكَامِلُ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

إِنَّ سَعْيِ فِي رِضَاكُمْ أَمَلُ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ

وَفِي أَجْزَاءِ وَافِرِهِمْ تَقُولُ مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ

- أرجوزة في التصريف سماها روضة النسرين في مسائل التمرين وشرح عليها يبدأها بقوله **(بلعالم، 2005م، صفحة 100)**:

الْحَمْدُ للهِ الْخَبِيرِ الْمُلْهِمِ مَنْ شَاءَ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ

ويختمها بقوله:

وَنَوِّرَنْ قَلْبِي بِنُورِ الْعِلْمِ وَارْزُقْنِي الْفُوزَ بِحُسْنِ الْخَتْمِ

و- المراسلات الشعرية:

لقد خاض ابن أب في فن الترسل، فمن خلال الوقوف على مسيرة حياته نجده كان يراسل الشيخ سيدي أبي الأنوار بمراسلات شعرية بعض للاستفتاء وأخرى للرد على أسئلة، فمن هذه المراسلات الشعرية نجد مراسلته للشيخ المذكور آنفاً يسأله توضيحات بخصوص العادة التي فشت بين سكان منطقة أقبلي وهي القسم بكتاب يسمى " تنغ أبويا" ظهر بالمنطقة ومطلعها (**بلعالم، 2005م، صفحة 96**):

الْحَمْدُ للهِ الذِي قَدَ اَلْهَمَا أُولِي النُّهَى شَأْنَ الْعُلَمَا

ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكُلُّ مَنْ بِهِ اهْتَدَى

ويشير إلى السؤال في قصيدته بقوله:

نَصُّ السُّؤَالِ أَنْ ذَا لِلْبَلَدَا عَادَةُ أَهْلِهَا كَوْنِهِمُ إِذَا أَرَادَا

أَحَدُهُمْ تَحْلِيفَ خَصْمٍ بَلِيًّا أَنْ يَجْلِبَ الْخَصْمَ إِلَى تَنْغْ بُويَا

وختمها بقوله:

لاَ سِيَمَا إِذَا بِهِ اسْمُكَ ذُكِرْ لِأَنَّكَ الْيَوْمَ إِمَامٌ مُشْتَهَرْ

أَبْقَاكَ رَبِّي لِلأَنَامِ حَامِلاً لِوَاءَ حُكْمِ الشَّرْعِ حَبْراً عَالِماً

فهذا يدل على أنه كان كثيراً ما يراسل الشيخ سيدي أبي الأنوار ومراسلاته كانت شعراً، ومما رد به عليه الشيخ المذكور مطلعه (**بلعالم، 2005م، صفحة 96**):

الْحَمْدُ للهِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى الذِي إِلَهُهُ اصْطَفَاهُ

وَبَعْدُ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْخَصْمَا يُمْنَعُ أَنْ يَجْلِبَ خَصْماً رَغْماً

إلى أخر القصيدة وهذا الفن كان موجوداً في المنطقة بكثرة والمكان لا يسمح لنا بذكر ذلك.

ز- الألغاز:

أيضاً نجد ابن أب خاض في فن الألغاز الشعرية فمن ألغازه في النحو قوله:

صَاحِ سَلِّمْ عَلَى النُّحَّاةِ وَسَلْهُمُ حَبَّذَا حَبَّذَا هُمْ إِنْ أَجَابُوا

مَا مُضَافٍ إِلَيْهِ أُعْرِبَ بِالرَّفْـ عِ صَرِيحاً وَذَا لَعُمْرِي عُجَابُ

وأجابه عليه ابنه سيدي ضيف الله بقوله:

جَوَابَ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ قَرِيبٌ فِي حِزْبِ الأَنْبِيَا هَدَاكَ اللهُ

بَعْدَ إِلاَّ وَلَفْظُهُ لَفْظُ رَفْعٍ ذَا الْجَوَابُ وَالْعَجَبُ مِنْ مَبْدَاهُ

ح- الإجازات :

لم يكن الشيخ من الشيوخ الذين يحبون اجازة غيرهم فلم نعثر له على إجازات كثيرة سوى الإجازة الوحيدة التي وردت في كتاب الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التينيلاني لصاحبه العلامة الشيخ محمد باي بلعالم –رحمهما الله–، ولعل هذا الإحجام من الشيخ ما هو إلا تواضعا منه والتزامه بما ألزم به نفسه بجعل ما خلفه من علم وكتب وقف في سبيل الله لكل من أراد الاطلاع والتعلم وبذلك لم يكن الشيخ يحب أن يجيز غيره ونلمس ذلك من خلال هذه الإجازة التي أجاز بها تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني.

ط- التسبيح والدعاء:

لقد كان الشاعر يعيش بين ظهراني أهله ومواطنيه، وكان كل همه هو تسهيل كل ما يخص أمور الدين بالمنطقة، فيعمد إلى نظم كل ما يقال ويتلى في ذلك، ومن أمثلة ذلك التسبيح الذي يقرأ إلى الآن بعد صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك خاصة في منطقتنا ونص التسبيح هو :

سُبْحانَك يا قَريبُ يا مجْيبُ يا مـولاَنَا سَبحانَك يَا حِاضراً لاَ يَغِيب يَا مولانَا

سُبْحانَك يَا فعال ما يُرْيد يَا مـولاَنَا سبحانك يا حميد يا مجيد يا مـولانا

سُبحانَك يَا مُوصوفاً بِالْكَمْال يَا مولاَنَا سبْحانَك يَا عظُيم ذا الجَلاَل يَا مولاَنَا

سبحانك يا حنان يا منان يا مـولانا سبْحانَك يَا كرِيمُ ذَا الإحَسْان يَا مولاَنَا

سبْحانَك يَا آمر بِالمَعروف يَا مـولاَنَا سبحانك يا جواد على الضعيف يا مولانا

يَا إلهِي لَك الحَمد يَا إلهِي لَك الشكْر — لك الحَمْد في السِر لَكَ الحمْد في الجَهرِ
لَك الحَمْد دائِماً لَك الشكْرُ أبدا — اللهم لك الحمد يا مولانا اللهم لك الحمد

8- إبداعات ابن أب المزمري:

أ- إضافة بحر جديد:

ما ميز الشاعر محمد بن أب المزمري هو ولعه بالشعر والاهتمام به أكثر من غيره من الفنون والعلوم الأخرى؛ بل جعل ما اكتسب من علم في خدمة الشعر، ولكثرة اعتداده بنفسه في هذا المجال، ومقارنته إياها بمن سبقه من أهل الشعر، حتى أصبح يفتخر بنفسه ويتحدى من يبارزه فيه، كما أنه اهتدى لاكتشاف بحر جديد أضافه لبحور الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه الأخفش، ولم يكتف باكتشافه للبحر؛ بل نسج قصيدة على وزنه حتى يثبت صحة هذا الوزن، فمن كثرة تعلق الشاعر بالشعر والتمرين عليه، أصبح يقارع فطاحل الشعراء ويقلدهم، فلم يترك نوعا شعريا إلا أتى بنظم على منواله، كما هو واضح من خلال مؤلفاته التي خلفها لنا.

ب- قصيدة ابن أب على البحر الجديد:

القصيدة التي نظم عليها بحر المضطرب وهي في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في مطلعها (**جعفري، الحركة الأدبية، في أقاليم توات.، 2009، صفحة 119**):

صَلِّ يَا إِلَهِي ثُمَّ سَلِّمْ — دَائِماً عَلَى خَيْرِ الأَنَامْ
مَا دَعَاكَ أَوْ لَبَّاكَ مُحْرِمُ — قَاصِداً إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامْ
أَحْمَدُ رَسُولُ اللهِ أَحْمَدُ — سَيِّدُ الْوَرَى طَهَ الْمُمَجَّدْ
فَضْلُهُ مُبِينٌ لَيْسَ يُجْحَدُ — إِذْ حَوَى الْمَعَالِي بِالتَّمَامْ
بِالنَّبِي لُذْ تُرْحَمْ وَتَسْلَمْ — مِنْ جَمِيعِ مَا تَخْشَى وَتُكْرَمْ
وَانْظِمِ الْقَوَافِي فِيهِ وَاعْلَمْ — أَنَّ مَدْحَهُ غَيْرَ النِّظَامْ

ويختمها بقوله:

يَا إِلَهَنَا حَمْداً وَشُكْراً — إِذْ هَدَيْتَنَا سِرّاً وَجَهْراً
لِامْتِدَاحِ خَيْرِ الْخَلْقِ طُرّاً — سَيِّدَ الْوَرَى النُّورِ التَّهَامْ
يَا مُحَمَّد لاَ زِلْتَ تَفْرَا — مِنْ إِلَهَنَا أَزْكَى سَلاَمْ

الشاعر تطرق بداية القصيدة إلى صفات الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ثم أخذ بعدها في سرد معظم المعجزات التي حدثت للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، فهو نظم كل هذه

الحوادث، ولم يكتفي بذلك بل نصح الشعراء بالنظم في هذا الفن وهو مدح خير الخلق، وفي آخر القصيدة انتقل إلى التوسل والتضرع إلى الله بجاه رسوله الكريم، وهذا جاء في قصيدة على وزن البحر الذي اكتشفه هو، والذي سماه "المضطرب".

ج- منزلة هذا البحر من البحور المستعملة والبحور المهملة:

إن هذه القصيدة المنظومة على بحر لم يألفه الشعر العربي القديم وتفعيلاته هي :

فاعلن فعولن فاعلاتن

وهذه التفعيلات بأسبابها الثقيلة والخفيفة وفواصلها وأوتادها فاعلن فعولن من التفاعيل الخماسية عند علماء العروض (**عتيق، 1987م، صفحة 18**).

فاعلن: مركبة من سبب خفيف وهو (فا) ووتد مجموع وهو (علن) وفعولن: مركبة من وتد مجموع وهو (فعو) وسبب خفيف وهو (لن)

فاعلاتن: من التفاعيل السباعية عند علماء العروض مركبة من سبب خفيف وهو (فا) ووتد مجموع وهو (علا) وسبب خفيف وهو (تن) فلم تخرج تفعيلاته عن البحور المستعملة والمهملة، وما يستدعي الانتباه أن هذا البحر المضطرب لم ينظم عليه أحد ما عدا صاحبه وهو بهذا يدخل في إطار البحور الشعرية المهملة.

خاتمة:

إن ما نستنتجه من خلال ما مررنا به في ما سبق ما يلي:

- يعد الشيخ ابن أب بحق أديب زمانه فقد ساهم في إثراء الحركة الأدبية شعرا ونثرا له قصائد متعددة في شتى الأغراض الشعرية وشعره متأثر بالمعاني الدينية ولم يجعل لنفسه منهجا معينا يتسم به.

- كان الشيخ عالما علامة متفننا في علوم العربية نحوا و صرفا وأدبا وإنه لبرهان ساطع ودليل قاطع في من اختارهم الله واصطفاهم ورعاهم بعين عنايته لخدمة اللغة العربية وصيانتها بحفظ رجالها و تعليم نشئها .

- للشيخ جهود أدبية لا تنكر ويتضح ذلك جليا في قصائده المدحية ومنظوماته التعليمية نذكر منها كتابه "نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم " و"روضة النسرين في مسائل التمرين" وقصائد المدح التي مرت بنا وأهم من ذلك إضافته لبحر شعري ولو أنه يعد من البحور

المهملة لكن لا ينكر انتماؤه لبحور الشعر المعروفة منذ القديم وما زاد من ترسيخ ذلك هو نظمه قصيدة على هذا الوزن حتى يثبت صحة ما توصل إليه.

- انتحى الشيخ ابن أب منحى فحول الشعراء، من خلال التناص والتضمين...، كما أنه سار على نهج الشعراء الأندلسيين والمغاربة، باقتباسه أشطر أو جميع أشطر قصيدة ليوظفها في غرض مغاير لغرض القصيدة الأصلية.

- كان الشاعر معروفا بطول الباع في شتى العلوم وقد تحلى بصفات تدل على مكانته العلمية السامية التي وصل إليها ومن محاسنه شغفه بالعلم حيث أنه لم يترك فنا إلا تعلمه وألف فيه من علوم الدين واللغة العربية وآدابها وكان ذا حماس لما يراه صوابا وكان مناصرا لما يراه حقا وقد استجاب الله لشيخه حيث دعا له بالطول في العلم .

- سمى ابن أب الوزن الذي نظم عليه قصيدته بحر "المضطرب" ولأهل الاختصاص رأي في هذا الوزن .

إذن هي قطرة من بحر، وقليل من كثير، من إبداع رجل عظيم من عظماء منطقة توات الذين علّموا فنفعوا وكتبوا فأبدعوا، رجال يرجون من ذلك كما يقولون في جل كتاباتهم: ثواب ربهم وعفوه ورضاه، علماء أعطوا دروسا وعبر، وخرّجوا شيوخاً ودُرراً، فرحمهم الله.

قائمة المراجع:

- أحمد ابالصافي جعفري. (2004م). *سلسلة رجال في الذاكرة سيدي محمد بن أب المزمري حياته وآثاره*. الجزائر: دار الكتاب العربي.

أحمد ابالصافي جعفري. (2009). *الحركة الأدبية، في أقاليم توات*. بئر توتة الجزائر: منشورات الحضارة .

عادل نويهض. (1981م). *معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر*. الجزائر: 1981م.

عبد الحميد بكري. (2005م). *النبذة في تاريخ توات وأعلامها*. الجزائر: دار الهدى.

عبد العزيز عتيق. (1987م). *علم العروض والقافية*. بيروت – لبنان: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

محمد بادي الكنتي. (1388هـ). *مخطوط مقدم العي المصروم شرح نظم بن أب لمتن بن أجروم*. أدرار: خزانة كوسام.

محمد باي بلعالم. (2005م). *الرحلة العلية، إلى منطقة توات*. الجزائر: مطبعة دار هومه.

محمد عزام. (1987م). التناص في الشعر . *مجلة الموقف الأدبي* ، العدد 368 .

مولاي التهامي غيتاوي. *سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات*. الجزائر: دط.

ومولاي أحمد الطاهري الإدريسي. (1399 هـ). *مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات*. أدرار: خزانة كوسام.